

الاستيطان الفرنسي وأثره على نظرة المستوطنين الأوروبيين للمسلمين الجزائريين

French settlement and its impact on the settler's view of Algerian Muslims

ط.د حياة بعين* ¹، baiben.hayet@univ-medea.dz

¹ جامعة يحيى فارس المدية، مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور

د. رشيد مياد² rachidmiad@univ-medea.dz

² جامعة يحيى فارس المدية، مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور،

تاريخ الاستلام: 2023/10/ 18 تاريخ القبول: 2024/01/ 12 تاريخ النشر: 2024/01/ 31

ملخص:

يعتبر الاستيطان الاوربي من اهم مظاهر السياسة الفرنسية في الجزائر، حاولت فرنسا من خلالها تغيير المكون الاثني والديموغرافي للجزائر، من خلال تشجيع حركة الاستيطان الاوربي اليها، مدعمة رؤيتها السياسية بمنطلقات فكرية واسس قانونية، كلها لتحقيق أهدافها بتعمير جنس اوروبي دخيل على العنصر المحلي المسلم ، وما ان مر قرنا على الاحتلال الفرنسي حتى اسفر الواقع الديموغرافي للجزائر تحت الحكم الفرنسي على ظهور اقلية أوروبية، لا تجمعها بالمكون الأصلي اية روابط حضارية او تاريخية او دينية، وعمق ذلك من حدة التباعد بين مجموعتين ديموغرافيتين متباينتين، عرقيا ودينيا، فانعكس ذلك في النظرة النمطية المتبادلة، وفي الإنتاج الادبي والفكري للطرفان.

الكلمات الدالة: المستوطنين الأوروبيين، الاستيطان، قانون الانديجينا، المسلمين الجزائريين، الواقع الديموغرافي.

Abstract: French rule resulted in the emergence of a European minority, with no civilizational, historical, or religious links to the original population. This deepened the distance between the two contrasting demographic groups, racially and religiously, which was reflected in mutual stereotypical views and in the literary and intellectual production of both parties.

Keywords. Settlement policy, Andjina Law, Legal Centers, Dimgraphic réalitis

المؤلف المرسل: ط.د حياة بعين، baiben.hayet@univ-medea.dz

1. مقدمة :

عرفت الجزائر منذ الخامس جويلية 1830 مرحلة تاريخية جديدة هي مرحلة الاحتلال الفرنسي الذي أصبح امراً واقعاً مريئاً، وانهارت على أثره الدولة الجزائرية بمؤسساتها، التي كانت القوة المواجهة لكل الاخطار الخارجية، فيم وجد الشعب الجزائري نفسه امام قوة حضارية لا تقاوم، مدججة بالقوة العسكرية والفكر الحضاري الذي تشكل عبر تراكمات قرون عديدة، تحت تأثير فلسفة الانوار والحركة الاستعمارية، في الوقت الذي بقي فيه المجتمع الجزائري التقليدي، ينو تحت الوهن والانحسار الحضاري الذي طبع العالم الإسلامي، مفتقراً لأبسط عوامل المقاومة، الا من هويته الإسلامية.

المحتل الفرنسي الذي تعهد باحترام معتقدات الشعب الجزائري وتأمين ممتلكاته، سرعان ما كشر عن اطماعه لتأسيس الإمبراطورية الفرنسية بإفريقيا، على غرار ما صنعتها الإمبراطوريات الايبيرية والانجليزية بالعالم الجديد. ولان الجزائر كانت مأهولة بشعب له امتداده التاريخي والحضاري، فان الإدارة الفرنسية انتهجت منذ البداية سياسة تشريعية وعسكرية ترمي إلى الاستحواذ على الجزائر وتوطينها بالسكان الأوروبيون، والفرنسيين بصفة خاصة، تمهيدا لإعادة تشكيلها ديموغرافيا وتغيير انتماءها الحضاري، ونجحت فعلا في توطین مئات الآلاف من الأوروبيين الذين أغدقت عليهم بالامتيازات، في الوقت الذي انتهجت فيه سياسة تقتيل وتفجير وتجهيل ضد أصحاب الأرض الشرعيين، وعكفت على انتهاج سياسة تمتزج بين توطین الأوروبيين في الجزائر، وفصلهم حضاريا واجتماعيا عن المسلمين الجزائريين، بنزعة من التعالي والتفوق الحضاري، ما أدى الى ظهور مجتمعات متباينان، فرض عليهما التعايش الاجباري، المحكوم بحواجز من النظرة النمطية المتبادلة. والاشكالية المطروحة:

طبيعة علاقة الجزائريين بالمستوطنين الأوروبيين عامة، وتداعياتها على نظرهم للمسلمين الجزائريين من خلال واقع الحياة اليومية، وأديبات الأقلية الاوروبية.

وللإجابة على الإشكالية، لابد وأن نتناول الإشكالات الفرعية التالية:

نشأة الكولون في الجزائر، الأسس القانونية والمنطلقات الفكرية.

العوامل المؤثرة في العلاقة بين المجتمع الجزائري والمستوطنين الأوروبيين

ثانيا: السياسة الاستيطانية أهم عوامل التواجد الاستيطاني بالجزائر:

لم تكن أرض الجزائر عند احتلالها بلا ساكنة، فهي بلد عريق، يسكنه شعب كريم له ماضيه الزاخر بالإنجازات، والنكبات، عرف مرور حضارات عريقة أثرت في بنيته الثقافية والاجتماعية، وميزته عن غيره من الشعوب.

وما إن نجحت الآلة الفرنسية في الاستحواذ على مدينة الجزائر، حتى بدأت في نقض تعهداتها باحترام الشعب الجزائري، ومقدساته وأملاكه¹، وبعد فترة التردد في مصير المستعمرة، شكلت سلطات باريس الجديدة لجنة من المستشارين والخبراء لتحديد مصير الجزائر، وأصدرت اللجنة الإفريقية² توصياتها للاحتفاظ بالجزائر، وهو الأمر الذي تكرر بسن القرار الملكي لـ 22 جويلية 1834 والمتضمن إلحاق الجزائر بفرنسا، ما شجع على المضي قدما في تحقيق الحلم الاستيطاني الفرنسي بالجزائر، بالموازاة مع التقدم العسكري نحو ضم المزيد من المناطق مواجهة في سبيل ذلك معارك دموية مع الجزائريين. كان احتلال الجزائر في الواقع، مغامرة من الملك "شارل العاشر" استهدفت صرف نظر الداخل الفرنسي عن اخفاقاته المتراكمة، وسرعان ما اضحى مشروعا للحلم الفرنسي، بخلق امبراطورية استعمارية استيطانية، سخرت لها كل الإمكانيات العسكرية والبشرية بتأطير من ترسانة تشريعية مدروسة، وبتوجيه من غلاة الفكر والسياسة.

2. نشأة الكولون، المنطلقات الفكرية، والأسس القانونية

أبرزت التحولات التي مرت بها فرنسا، من مجرد مملكة تكافح لتحقيق الأسس الديمقراطية، والعدالة الاجتماعية عبر ثروات شعبية، يقودها المثقفون والبورجوازيون، الى دولة قوية، تطمح للأجناد، فروح التوسع النابليونية، لم تنطفئ بنهايته السياسية، بل تابع اثره مفكرون، وانثربولوجيون، ممن استخدموا فكرهم وفلسفتهم، لشرعنه الفكرة الاستعمارية، بهدف تحقيق الحلم الامبراطوري، لفرنسا على غرار إسبانيا، وانجلترا، محاولين اعطاءها كل المبررات الأخلاقية والحضارية، في الوقت الذي منحت فيه لضباط الجيش الفرنسي كل الصلاحيات لوضع الحجر الأساس للمستعمرة الأقرب لفرنسا.

انبرى صاحب الأفكار الديمقراطية، ومنظر الثورة الامريكية على الانجليز، في العالم الجديد، Alexis De toquille "الكسيس دوتوكفيل"³ (1805-1858)، للتنظير للحركة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر من خلال كتابة فلسفته ورؤيته لتحقيق الحلم الامبراطوري⁴ من بوابة الجزائر التي يجب اخضاعها حسب، باستخدام كل الأساليب، والبدائية تكون بمحو اثار وانجازات من كان قبل فرنسا في حكم الجزائر، وهو القائل " ولكي نزيل بشكل جيد اثار حكم العدو، اهتممنا قبل ذلك بتمزيق او حرق كل الوثائق المكتوبة، والسجلات الإدارية"،

"وهدمنا العديد من شوارع مدينة الجزائر، لكي نعيد انشاءها بطريقتنا"⁵ لإلغاء الذاكرة التاريخية للامة الجزائرية، ونفي التنظيم السياسي والإداري عنها، مشجعا على استيطان الجزائر، بل واستبدال شعبها ان امكن بالجنس الأوروبي لترسيخ الاحتلال، وفي قوله "يجب ان لا نفصل اطلاقا السيطرة والاحتلال عن الاستيطان"⁶ لا يستبعد ان الجزائري بصفته المتوحشة، يجوز ان تطبق فيه أساليب الإبادة التي انتهجت ضد الهنود الحمر، وللقضاء على روح المقاومة فيهم علينا "بمنع التجارة عنهم، والوسيلة الثانية بعد منع التجارة هي نهب البلاد، فقانون الحرب، يسمح بذلك اما بإتلاف المحاصيل او القيام بهجمات سريعة، والاغارة... والقضاء على ما يمكن ان يشكل تجمعا دائما للسكان"⁷ في الوقت الذي نظر فيه حرية الشعب الأمريكي، وانعتاق الشعوب الأوروبية وحققها في الديمقراطية، وتبيان أساليب تحقيقها، لم يجد حرجا في نفس اراءه ومعتقداته التحررية إزاء شعب لا يقاسمه نفس الانتماء الحضاري والعربي، وكأنه بشر من درجة ثانية.

فيما يرجع مواطنه (Arthur de Gobineau)⁸ وأساس نظريته تفاوت الأعراق | الاختلاف العرقي سببا لاختلاف المستوى الحضاري، فالجنس الأبيض هو الأكثر ذكاء واستيعابا للتطور والتقدم العلمي من الاجناس الأخرى، ويعود ذلك لأسباب علمية، وشعب افريقيا والجزائر، من تلك التي تعاني عدم القدرة على التفكير، والإنتاج الحضاري، فهي اهل للاستعمار، نظرا لكونها تعاني تخلف مزمن. محاولا إيجاد المبررات العلمية لنظريته، كما يرى (Jules Ferry)⁹ انه على القوى والأمم المتحضرة أداء واجبها في تحضير الأمم الأقل قدرة على الإنتاج الحضاري¹⁰.

ويعمن مواطنه (Jules Duval)¹¹ في إيجاد المبررات الحضارية، لاحتلال الجزائر وغرس العرق الأوروبي بها في قوله "ان الاستعمار بعيد عن كونه اغتصاب، بل هو واجب ومنفعة... تكسب العرب الرفاهية، والحرية الشخصية من خلال تقرب الأوروبيين"¹²، وان زيادة السكان الأوروبيين في هذه الأرض هو المقياس الحقيقي لنجاح العملية الاستعمارية محاولا ابراز ميزة غرس العرق الأوروبي بالجزائر لكونه سيكون الأداة لنشر الحضارة الأوروبية والفرنسية تحديدا.

وتبعا لنشأة الاستيطان، ومراحلها، واهم النصوص التشريعية المرافقة له والمنظمة له، فانه يمكن القول أنه ولد في رحم الجيش الفرنسي، ورعته أيادي الجمعية الوطنية الفرنسية، والمؤسسات التشريعية بالنصوص القانونية، لمنحه القوة التنفيذية، واستتبع ذلك المشروع، تطبيق سياسة مصادرة الأراضي، بوصفها جوهر العملية الاستيطانية، فتوالت القوانين والتشريعات في الصدور، للاستحواذ على أراضي الجزائريين بقوة القانون، خدمة للمشروع الاستيطاني.

يعتبر قانون 21 سبتمبر 1830 لمصادرة أراضي الأتراك والعثمانيين وضمها لأملاك الدومين.¹³ أول خطوة في سبيل تحقيق تلك الأهداف، والذي مكن من الاستحواذ على الأراضي الغير مسجلة كممتلكات للأفراد، لتدخل في حياة الملكية العامة الفرنسية، وبتعيين الجنرال "كلوزيل" شرع في تنفيذ الحلم الفرنسي بخلق الإمبراطورية، وعمل على تشجيع استيطان الأوروبيين من خلال منحهم أخصب الأراضي حول العاصمة، وخلق القرى الاستيطانية عليها لاستقدام المزيد منهم¹⁴. وذلك بمنحهم كامل التسهيلات الإدارية، والمساعدات المالية.

وإذا كان "كلوزيل" الأب الروحي للاستيطان الفرنسي، فان الجنرال "بيجو" Bujeaud عرابه الذي رافقه وجعله جوهر مهمته في الجزائر، بحيث انه أمد العملية بنفس جديد واصبغها الصفة القانونية حتى أصبح اسمه دوما مرتبطا بمشروعه الاستيطاني في الجزائر، وقد أدرك مبكرا أنه لن يثبت لفرنسا قدم في الجزائر بدون انتهاج سياسة استيطانية، فأطلق مشروع "الجندي المزارع"، من خلال قيامه بتقسيم الأراضي الشاسعة الى ملكيات فردية وتوزيعها على الجنود الفرنسيين¹⁵، والعمل على انشاء القرى الساحلية وهو الاجراء الذي عزز من حركة التوطين الممنهج للأوروبيين بالجزائر، ومنحهم تسهيلات إدارية وامتيازات قانونية هائلة استهدفت أساسا مضاعفة المساحة المستحوذ عليها في إطار استراتيجية الاحتلال الرسمي الكامل¹⁶، بالتوازي مع مواصلة التوسع العسكري في الجزائر، بالنار والدم بانتهاج سياسة الأرض المحروقة، وهو القائل "إن وجود هذه الامة القوية، المتفوقة على الجماهير الأوروبية التي سندخلها للجزائر قصد التعمير، يفرض علينا إن نقيم بجانبه سكانا، أشد بطشا، وأكثر نشاطا". استهدفت السياسة الفرنسية، التأسيس لاستعمار استيطاني من خلال خلق عرق بشري أوروبي، وترسيخه بواسطة الاستيلاء على أراضي الجزائريين، لإقامة القرى، والمدن الاستيطانية، أو لتوزيعها على الأوروبيين بهدف إقامة المستثمرات الفلاحية والصناعية.

وتتابع اصدار القوانين والمراسيم بهدف الاستحواذ على الأراضي تمهيدا لاستغلالها في خلق القرى والمدن الاستيطانية، او بهدف توزيعها على الكولون لإنشاء المستثمرات الزراعية أو الصناعية، منها قانون 25 أكتوبر للقضاء على أراضي الحبوس والاستيلاء عليها، وقانون مارس 1833 الذي أمهل مالكي الأراضي والمجموعات الدينية اجلا محددا لتسليم سندات ملكيتها لإدارة الأملاك العقارية تحت طائلة المصادرة.

قانون 1845 لمصادرة أملاك القبائل الثائرة، قانون "وارنيي" WARNIER 1873 الذي هدف للقضاء على الملكية الجماعية للأرض من قبل العروش والقبائل وتسهيل تقسيمها الى ملكيات فردية، وقانون 1887 الذي نص على بيع الأراضي بالمزاد العلني¹⁷

1.2. الانعكاسات الديموغرافية للسياسة الاستيطانية:

أدت سياسة الاستيطان الفرنسية بالجزائر بالموازاة مع مصادرة الأراضي، وتقتيل الجزائريين إلى قلب المعادلة الديموغرافية بحيث أسفرت عن توطين أقلية غربية عن المجتمع الجزائري هم المستوطنون الأوروبيون الذين ينتمون لشرائح اجتماعية منبوذة كالمتهربين والباطالين والمعارضين السياسيين فأصبحت الجزائر تضم:

أقلية أوروبية: تعود أصولها إلى مشارب أوروبية شتى فمنهم الوافدون من مالطا ومنهم الإسبان، الذين كانوا يوجدون قبل الاحتلال الفرنسي بوهران بأعداد قليلة، من "بلنسية" و"اليكانت" وشكلوا ثلث السكان خلال العهد الفرنسي والتوسع الاستيطاني، ولم يترددوا في العيش بما لعلمهم بملائمة مناخها إضافة لمستوطنين من أصول إيطالية، بل حتى من النمسا وسويسرا بأعداد قليلة.

ركزت فرنسا بعد ذلك على المستوطنين لأصول فرنسية حرصا منها على إبقاء سيطرتها خاصة بعد العام 1846¹⁸، وهي المرحلة التي عرفت بالاستيطان الرسمي، بحيث أصبحت سياسة التوطين الفرنسية انتقائية بعد 1846، وتفضل المستوطنين من اصل فرنسي بشكل اكبر لضمان سيطرتهم على المستعمرة الفرنسية، فشكل عدد المستوطنين من أصول فرنسية الأكثرية من بين الوافدين الأوروبيين بعد 1851 وقد تملك أعداد المستوطنين بالإكراه والحماية القانونية الفرنسية التعسفية، أجود الأراضي وأكبرها مساحة، وتمتعت بكامل الحقوق السياسية والمدنية، بل وبامتيازات لم يحصلوا عليها حتى في أوطانهم الأصلية، واستمرت السلطات الفرنسية بحملات دعائية في أوروبا لتشجيع الهجرة إلى الجزائر، واعدة بمنح كل التسهيلات للمستوطنين في سبيل حياة أفضل. وهكذا غدت الجزائر

تضم مجموعتان متباينتان:

أغلبية جزائرية مسلمة: تشمل سكان الأرض الشرعيين، وهم في مجملهم يشكلون مجتمعا تقليديا محافظا يتألفون من فئات وفسيفساء ديموغرافية تضم الحضر والبدو، كان تعدادهم حسب تقديرات "حمدان خوجة" في كتابه المرأة بعشرة ملايين نسمة عام 1830 عشية الاحتلال الفرنسي¹⁹.

عرفت بانفتاحها الحضاري وتعايشها مع الطوائف المختلفة، كطائفة اليهود والنصارى الذين كانوا يقيمون بها، من أعضاء السلك القنصلي والتجاري، والبحارة وحتى الأسرى من المعارك البحرية، إضافة لرجال الدين، كان

مجتمعا مزودا بكل عناصر الحياة، والاتساق، فخور بجنسيته، مسلحا بقوة روحية، هي الدين الإسلامي الخالي من الخرافات ، لتجد هذه الأغلبية، التي كانت تتمتع بحياة طيبة نفسها مهددة بالتقتيل، والإبادة وصودرت أراضيها وأملاكها بموجب القوانين التعسفية، ولم يبق أمامها من سبيل إلا النزوح نحو المرتفعات، أو الهجرة نحو المغرب أو المشرق. أضحت تحكم بالقوانين الاستثنائية، وتطلق عليهم تسمية **الأهالي**، تحقيرا وتنزيلا لهم، اعتبرهم القانون الفرنسي رعايا فرنسيون، لا يتمتعون بصفة المواطنة بالرغم من أنهم يتحملون أعباءها. مورست عليهم أفظع سياسات التجهيل والإبادة والتقتيل، وانتهكت حرمانه واستبيحت مقدساته، وكادت أن تطمس هويته وتاريخه لولا يقظة المخلصين من أبناءه، وبالعودة للإحصاءات الديموغرافية الفرنسية نفسها فقد بلغ تعداد الفرنسيين سنة 1833 حوالي 7812 نسمة ليرتفع العدد إلى 25000 بين العام 1841 و 1846²⁰. وهي تلك المرحلة التي تعرف بمرحلة الاستيطان الرسمي الموافقة لفترة الحاكم العام العسكري "بيجو" وتواصل الاستيطان ليتضاعف تعداد المستوطنين بعد استقدام موجات كبيرة منهم عقب ثورات 1848 التي أسفرت عن سقوط الجمهورية الثانية، وعودة النظام الإمبراطوري وكان لا بد من التخلص من المنبوذين والمعارضين، والمشايخين، كذلك كان لانهزام فرنسا في حرب السبعين أمام بروسيا تأثير كبير في تنامي أعداد المستوطنين الفرنسيين من "الالزاس واللورين"²¹، ليرتفع تعدادهم إلى 164 175 فرنسي من بين 279 691 مستوطن أوروبي خلال نفس السنة.

"ووجدت الإدارة الفرنسية في أراضي الجزائريين المنتفضين في ثورة المقراني والذين تم معاقبتهم بمصادرة أراضيهم مخرجا لازمتها المالية، بحيث منحت للوافدين من "الالزاس واللورين" وهي في مجملها أراضي تضم سبع مجموعات أهلية بمساحة 309.614 هكتار أي ما يعادل 70.4 من رأس مال الأهالي وكان ذلك دمارا لمعظمها". كما بلغت القرى الاستيطانية 197²² قرية، فالاستيطان أساسا ثبت جذوره على مبدأ مصادرة الأراضي من الجزائريين عامة، والمنتفضين ضد الاحتلال الفرنسي بصفة خاصة.

فيما أخذ تعداد الجزائريين في الانخفاض من 2.3 مليون نسمة العام 1851 إلى 2.1 مليون نسمة عام 1872، في حين عرفت ارتفاعا ملحوظا للمستوطنين الأوروبيين، بعدما أجاز قانون "سيناتوس كنسيلتس" الصادر في 14 جويلية 1865، في مادته الثالثة، منح الجنسية الفرنسية للأوروبيين الذين يثبتون إقامتهم بالجزائر مدة ثلاث سنوات، وهو الأمر الذي شجع على الهجرة كذلك نحو الجزائر بشكل متزايد.²³

الملاحظ أنه وفي نفس الفترة التي ارتفع فيها تعداد المستوطنين، انخفض تعداد الجزائريين المسلمين، نتيجة السياسة الفرنسية التي كانت في الواقع تصبو لتغيير المعادلة الديموغرافية لصالح المستوطنين الأوروبيين، نتيجة سياسة

التجوع التي استتبعت مصادرة الأراضي وما يخلفه ذلك من فقر وجوع للمسلمين الجزائريين، ولعل الانخفاض في التعداد السكاني كان سيكون طبيعيا منطقيا بالنظر لكون تلك الفترة شهدت موجات الجفاف والجراد، لكن الإحصائيات الفرنسية نفسها أظهرت انخفاض السكان المسلمين دن غيرهم من المستوطنين الأوروبيين، بل إن تعدادهم عرف ارتفاعا ملحوظا، وهو الأمر الذي يؤكد النية الفرنسية في إبادة الجزائريين وإحلال أجناس أوروبية مكانهم، وهو الأمر الذي فشلت فيه إدارة الاحتلال الفرنسي، بالموازاة مع ازدهار حركة الاستيطان، تركت الإدارة الفرنسية الجزائريين فريسة للأوضاع المناخية الصعبة، والأمراض القاتلة كالكوليرا والتيفوس والمجاعة والجفاف، والتي ادعت زورا أنها قدمت لمساعدتهم على التغلب عليها، ولتبليغهم رسالة التقدم والحضارة.

يبدو أن الظروف الطبيعية ما زادت للسياسة الفرنسية في التخلص من السكان الأصليين إلا تسهيلا لها، وان ما خططت له الإدارة الفرنسية في إبادة الجزائريين، بدا وان الظروف الطبيعية ساعدت على تحقيقه ليصل تعداد المستوطنين بحلول عام 1886 إلى أكثر من نصف مليون بلغ 530,600 نسمة. أي بنسبة نمو 79.98%²⁴ فيما تراجع تعداد الجزائريين، في نفس الفترة بأكثر من نصف مليون، وهو الأمر الذي يظهر الإرادة الفرنسية في إبادة الجزائريين وتهجيرهم، تنفيذا للمشروع الاستيطاني الكبير.

3. واقع العلاقة بين الجزائريين والمستوطنين الأوروبيين

1.3. العوامل المتحكمة في العلاقة بين الجزائريين والمستوطنين الأوروبيين:

لعله من الضروري لنا تلمس العوامل التي تتحكم غي طبيعة العلاقات الإنسانية وتحكم عليها إما بالتوافق والانسجام، أو بالاختلاف والنفور، بين المجتمعات البشرية، فإذا حللنا العلاقة إنسانيا دون الأخذ بعين الاعتبار تلك العوامل فإننا من المؤكد إننا سنجزم بانسجام العلاقة بين الأقلية الأوروبية التي استوطنت الجزائر والشعب الجزائري، فكما سبق توضيحه من سمات الشعب الجزائري الانفتاح على الآخر، وحسن الضيافة، لكن الموضوع لا يمكن أخذه بتلك المعطيات فقط إذا وضعنا في الحسبان أن الآخر الذي يقاسم الشعب الجزائري الأرض بل وسلبه إياها لم يكن ضيفا، بقدر ما كان معتدي بالقوة، على أرض شعب آخر. مستندا في ذلك على القوة العسكرية والمكر القانوني والمبررات الفكرية والنظرية الكاذبة

ومن هنا كان لا بد وان نرتكز في دراسة علاقة المستوطنين بالمسلمين الجزائريين، على العوامل التي ساهمت في تحديد طبيعة العلاقة بين الطرفين، إذ لا يمكن لنا تشريح تلك العلاقة، دون إبراز العوامل التي تحكم في بلورتها وصبغها بالنفور، أو الانسجام كالتالي:

الاعتداء والاحتلال: إذ يشكل لوحده سببا كافيا للعداء وفتور العلاقة بين المجتمعان، وهو شعور فطري في النفس البشرية، ناهيك عن كون الاحتلال الفرنسي كان دمويا، عنيفا أبيحت فيه استخدام كل الأساليب لتحقيق الشروع الاستعماري الفرنسي، نستشهد هنا بما قاله أحد النواب الفرنسيين في الجلسة الجمعية الوطنية "حق الحرب يسمح لنا بتدمير البلاد الشيء الذي يفرض علينا إتلاف المحاصيل في وقت الحصاد، وبالجوء إلى الغارات السريعة التي تستهدف الرجال أو الماشية" وهذا غيض من فيض من ممارسات الاحتلال الفرنسي²⁵.

الاختلاف الديني والحضاري: وهو عامل لا يمكن وصفه بالجوهري في تحديد طبيعة العلاقة بين الطرفين لو أنه كان منعزلا عن السياسة العامة للاحتلال الفرنسي ككل، لكنه أصبح كذلك لكونه مثل عقيدة الطرف المعتدي، الذي يدين بديانة غير الإسلام، وينتمي لحضارة غير الحضارة التي نشأ في كنفها الشعب الجزائري، وهنا فقط أصبح التباين الديني عامل اختلاف، بل وعاملا جوهريا، نستذكر هنا بيان الرسالة التي بعثها السيد حمدان خوجة للجنة الإفريقية عشية زيارتها للجزائر ومما ورد فيها قوله تم "أقمتم حاجزا في الجزائر لا يمكن اجتيازه بين الشعبين اللذين لا يمكن أن يتكلما نفس اللغة ولا يعتنقا نفس الدين، ولا يلبسا نفس الثياب ولا يمارسان نفس طريق الحياة..."²⁶ وساهم في توتر العلاقة خاصة إذا علمنا أن المستوطنين كانوا يقفون خلف كل سياسة استغلال للشعب الجزائري وعارضو كل إصلاح سياسي من شأنه تحسين ظروف الجزائريين.

السياسة الفرنسية التعسفية: والتي مارسها الاحتلال الفرنسي ضد الشعب الجزائري في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بحيث شكلت عامل تنافر بين الطرفين وعملت على تفكير الشعب الجزائري وتجهيله وإبادته من خلال إصدارها للتشريعات التي تحقق لها أهدافها في الاستحواذ على الجزائر ومثال عن ذلك السياسة الإدارية التي انتهجتها والتي شكلت استثناء في النظم الإدارية المتعارف عليها أكاديميا لتكريس الحقوق واحترام الحريات، من خلال تبنيها لقانون الانديجينا الصادر في 24 أكتوبر 1871 فترة الجمهورية الفرنسية الثالثة والذي شكلت أحكامه جدلا قانونيا نظرا لقسوتها، وتناقضها الصارخ مع مبادئ الثورة الفرنسية، والرسالة الحضارية، والإنسانية التي تدعي فرنسا أدائها في الجزائر، فقد خول للموظفين الإداريين صلاحيات استثنائية واسعة، كسلطة توقيع العقوبات على المخالفين لإحكامه من الجزائريين، والتي هي أصلا من صلاحيات السلطة القضائية، وهو الشيء الذي يتعارض كليا مع مبدأ الفصل بين السلطات الذي تركز عليه النظم الدستورية والنظام الفرنسي الجمهوري تحديدا، ومساسا بمبدأ المساواة امام القانون، وفي هذا الصدد نقلت الباحثة في التاريخ المعاصر "Isabelle Merl" تصريح احد أعضاء مجلس الشيوخ الفرنسي في الجلسة المنعقدة بتاريخ 22 جوان

1888 لمناقشة أحكام قانون الانديجينا قوله "اليوم طرح علينا قانون يمكن وصفه بأنه توحش قانوني يمنح الإداريين صلاحيات قضائية غير محدودة تقريبا ويطلب منا الموافقة عليها، والتصويت عليها بأعين مغمضة لاستقرار مستوطنتنا، واعتقد انه من الاستحالة أن يقبل سيناتورا لعب هذا الدور"²⁷.

لعله من المهم شرح خطورة أحكام قانون الانديجينا ليس فقط لكونها تعسفية في حق الشعب الجزائري بنصها على عقوبات تعسفية لمخالفات واهية، توقع على الجزائريين عقوبات في حال ارتكابها، كالتنقل من غير رخصة، أو مخالفة الأجير الجزائري أوامر المستخدم الأوروبي، بل ولتضمنها خروقا إجرائية هامة في التسيير الإداري، ناهيك عن تعارضها مع مبادئ القانون العام، إضافة لكونها رتبت عاملا قانونيا آخر زاد في توتر العلاقة بين الطرفين وهو:

اختلاف المراكز القانونية: بين المستوطنين والشعب الجزائري والذي ترتب عن تطبيق أحكام قانون "الاندجينا" لكونه اعتبر الجزائري رعية فرنسية تتحمل الواجبات والأعباء، وتحرمه في نفس الوقت من المواطنة الفرنسية بما تخوله من حقوق ومزايا، وهذا مزج غريب في الأحكام القانونية لم تشهد القوى الدستورية قبلا يظهر جليا مرونة أحكامه فيما يتعلق مصالح المستوطنين، وتشدها إذا ما تعلق الأمر بالجزائريين فقد شرعت القوانين الفرنسية لتتأقلم مع مصالح المستوطنين، ولو على حساب العدالة الإنسانية التي تتغنى فرنسا نفسها بها بالآخرى عمدت إلى إسقاط مبدأ أساسي من مبادئ العدالة التي جعلتها فرنسا شعارا لها، وهو مبدأ المساواة أمام القانون وهو الأمر الذي يستحيل تحقيقه، والحال أن المركز القانوني بين الطرفين غير متكافئ. بل وظالم وعنصري الى اقصى الحدود.

2.3. مظاهر العلاقة بين الجزائريين والمستوطنين الأوروبيين: علاقة يفرضها منطق المنتصر على الخضم:

تجسيدا لقيم الثورة الفرنسية وتتبعاً لادعاءات فرنسا ورسالتها الحضارية، عند تحليل طبيعة العلاقة بين الأقلية الأوروبية والمجتمع الجزائري، ينبغي لنا أن نضع في الاعتبار ميزة الانفتاح التي ميزت الشعب الجزائري إزاء مختلف الطوائف والأجناس، نظرا لموقع الجزائر المتوسطي بما يحمله من تنوع ثقافي وحضاري، والملاصق للثقافة الإفريقية بما تحمله من خصوصية، ناهيك عن انتماء المغاربي والعربي الإسلامي، كل هذه الروافد صقلت الإنسان الجزائري وجعلته متعايشا مع الإنسانية، مرحبا بتجارها وخبراتها المتنوعة، مستلهما منها ومؤثرا فيها وبالعودة للماضي الأقرب للحملة الفرنسية وهو فترة الجزائر العثمانية، يتبين لنا هذا التسامح الديني والانفتاح الذي اتسم به

الجزائريون تجاه الطوائف الغير إسلامية عاشت في الجزائر والتي كانت تعيش في الجزائر، على غرار النصارى من أفراد السلك القنصلي والدبلوماسي وعائلاتهم والبحارة والأسرى الأوروبيين، كذلك اليهود الأصليين، أو الفارين من الأندلس بعد سقوطها جراء محاكم التفتيش وكل هذه المعطيات تدل على سماحة المسلمين الجزائريين وانفتاحهم، وتنفني عنهم صفة التشدد الديني والانغلاق الاجتماعي.

إضافة إلى أن نلمس مظاهر العلاقة بين المجتمعان، من خلال الحياة اليومية ومعاملة المستوطنين الأوروبيين للمسلمين الجزائريين، أو من خلال مواقف الطبقة السياسية الفرنسية والفكرية من مطالب الجزائريين ودراساتها بدقة هو الذي من خلاله نحدد لنا طبيعة العلاقة بين المجتمعان ومدى انسجامهما من تنافرها.

4. صورة الجزائري في الحياة اليومية للمستوطنين الأوروبيين:

يمكن أن نلمس صورة الجزائري المسلم في واقع الحياة اليومية، وفي مختلف المجالات ونميز هنا بين صورتين

مختلفتين:

- صورة الجزائري المسلم الذي تنعته ادبيات الاحتلال الفرنسي تحقيرا بـ "الأهلي" المتخلف، الأمي، المسلم العنيف الخامل، الكسول، الذي لا يراعي حقوق المرأة والغير قادر على تطوير نفسه، وهو ليس أهلا إلا للمهن الوضيعة، والشاقة، ولا يمكن ان يتقاسم نفس الحقوق، كحق المواطنة الفرنسية مع الأوروبي المجتهد، المتنور.

- صورة الجزائري المسلم المتخلف، الذي يحق له تحت حكم الإدارة الفرنسية التمتع نسبيا ببعض الحقوق السياسية والمدنية، إيماننا بمبادئ حقوق الإنسان، ومبادئ الثورة الفرنسية الإنسانية والحضارية، وهذه الصورة والاعتقاد شكل قناعة قلة من رجال الفكر والسياسة الحريصين على إبقاء الإمبراطورية الاستعمارية وحمايتها من الضياع²⁸، بهدف تفادي ثورتهم على الاحتلال الفرنسي، وخسارة المستعمرة الاحب لفرنسا، كما برز بعض المثقفين الانسانيين على قلتهم دعموا حق المسلمين الجزائريين في المساواة امام القانون والحقوق المدنية، وفي هذا الصدد، نذكر ما نشرته جريدة الشهاب بمقال رثا فيه الشيخ ابن باديس أحد المستوطنين القلائل من ذوي التوجه الإنساني بعنوان "الجزائر تفقد ملاكها الحارس"، فقد كان من الذين نددوا بالظلم المفروض على الشعب الجزائري، وهو مواطن فرنسي من الالزاس يدعى Victor Spilmann، أسس جريدة بعنوان «Le cri d'Alger»²⁹ "صوت الجزائر"، للدفاع عن حقوق الجزائريين، ومعارضة السياسة الاستيطانية³⁰، وقد عينه الأمير خالد³¹ مستشاره في اللغة الفرنسية لفرط تأكده من إخلاصه لحقوق الشعب الجزائري³².

على أن الصورة الأولى التي كانت الأكثر رسوخا واعتقادا، تمتاز بالاحتقار والازدراء نجد أصداء لها في أدبيات الأقدام السوداء، وثقافتهم الشعبية وتعكس لنا واقع العلاقة الفاترة بين المجتمعان الجزائري و الاستيطاني بين المستوطنين الأوروبيين، والمسلمين الجزائري، "التي لا يمكن الا ان تكون الأسوء"³³ فإنه من الضروري القول بأنه من النادر في محطات التاريخ الإنساني، أن تجد توافقا اجتماعيا بين قوى محتلة بالنار والدم، ومجتمعها كان ضحية هذا الاعتداء، وتقاسما الأرض بقوة ونار المحتل والإكراه، وفي الحالة الجزائرية مع الاحتلال الفرنسي فان كتب التاريخ تعج بأمثلة التنافر، واحتقار الأوروبيين للمسلمين الجزائريين وان وجدت استثناءات نادرة تنلمسها في الجانب الإنساني البحث، وبعيدا عن كل إرادة سياسية في احترام الجزائري، ويضرب لنا الباحث أبو القاسم سعد الله مثلا عن إحدى أشهر شخصيات الأدب الاجتماعي الشعبي للكولون في روايات "الزوج صوري التي كان يكتبها الصحفي "اوغيست روبينية" مثل بطولته في رواياته، شخصية "كاجايوس". باسم مستعار هو Musette "ميزات" musette، بحيث انه كثيرا ما يشار في تلك القصص القصير، لما يوحي باحتقار "الأهلي" وبتخلفه، وعدم قدرته على استيعاب التقدم الحضاري، ودائما ما يظهر من خلال نصوصه الواقعية، والأوصاف المهينة للكرامة الإنسانية فالمسلم الجزائري هو "أصلأ أراب، والبوريكو، والراتون"³⁴.

إن هذه الأيديولوجية في تحقير الجزائري المسلم، الذي تدعوه تحقيرا "الأهلي"، بحسب التعبير العنصري للمستوطنين الأوروبيين طغت على الكتابة الأدبية والسياسية والإعلامية الاستيطانية، ورفع لواء الرواية الاستعمارية من الأقدام السوداء كتاب حاولوا تأسيس تيار أدبي مخالف لذلك الذي في فرنسا، مدعين أنهم الأقدر على وصف العلاقة بين أوروبيين الجزائر والمسلمين الجزائريين،

فأغلب هذه الصفات التحقيرية للمسلم الجزائري نجدها في الواقع في اغلب كتاب ذلك العهد، بحيث ان شخصيات الرواية الاستعمارية لا تخرج عن إطار "فاطمة الخادمة" و"ماسح الأحذية"، وإعطاء انطباع دائم بكسل "الأهلي" ونشاط المستوطن الأوروبي واجتهاده³⁵، أما البعض الآخر منهم على غرار "روبير راندو" و"لويس لو كوك"، "جان يومي" و"شارل كورتان" فإن كتاباتهم اهتمت بالسكان الوافدون، أما المسلمين الجزائريين فلا يوجد لهم ذكر³⁶، حتى ان بعضهم صرح باستحالة التعايش بين المجتمعان، ناكرا كل أسباب أخرى لتلك الفجوة الاجتماعية، والفروقات العنصرية، مرجعا ذلك أساسا لمبادئ "الإسلام" الذي يشكل سدا منيعا، يتعذر بسببه عبور المجتمع المسلم، نحو الاندماج الحضاري والاجتماعي³⁷.

أما المناضل "فرحات عباس"³⁸ فقد أورد في كتابه ليل لاستعمار عشرات الأمثلة عن برود العلاقة بين الطرفين احتقار المستوطنين الأوروبيين للمسلمين الجزائريين، وتهكمهم عليهم في قوله وهو الشاهد على العصر ال،

والسياسي المخضرم الذي احتك كثيرا بالطرفان " وماذا نقول عن المضايقات اليومية، التي يلاقيها الأهلي على الأرض التي ولد فيها، وفي الشارع، وفي المقهى، وفي ادنى مظهر من مظاهر الحياة العادية، الحلاق الذي يغلق الباب في وجهه، والفندق الذي يرفض أن يؤجر له غرفة "39 مضيفا ان التباعد في الحيز المكاني، زاد من قوة التمييز الاجتماعي بين الطرفان، بل إن كتاباته تعد شهادات حية مليئة بالأمثلة الأليمة عن واقع العلاقة المتنافرة بين المجتمعان. وعن نظرة العنصرية والدونية للمسلم الجزائري. ينقل لنا على لسان جول بول سارتر "موقف المستوطنين من المسلمين بقوله " ترى ماذا لو برز المسلم كإنسان مساو للمعمر وندا له أكيد إن المعمر سيشعر أنه أهين في كيانه وفي كرامته وفي قيمته، فهو لا يخشى ارتقاء البونيول إلى مرتبة الإنسان، بل أنه بمقت ذلك لأنه ينذره بانهيائه الشخصي "40

تنقل الباحثة. "MarieMuyll" تصريح أحد المستوطنين الأوروبيين العائدين لفرنسا عشية استقلال الجزائر تبريره حول عنصرية الأقدام السوداء واحتقارهم للجزائريين المسلمين قوله "لقد كانت عنصرية متوسطة المنشأ نبعت من تباين حضاري بين ضفتيه ومن الطبيعي أن تحتقر الضفة المتقدمة، الضفة الثانية الأقل حضارة "41

لعل ذلك التبرير الواهي لا يمت للتفسيرات العلمية بأي صلة، فليس له أي مرجعية فكرية علمية لكنه نابع فقط من عقلية الأوروبي المصاب بعقدة المركزية الأوروبية والتفوق الحضاري وهو وهم كبير وأصبح مرضا مزمنًا يصعب الشفاء منه، وتجد الباحثة مبررا آخر لهم في نقل أقوال البعض بكوهم كانوا غير واعين، بفضاعة تصرفهم تجاه المسلمين الجزائريين. وهي في ذلك لا تختلف عن الباحثة في محاولة تبرئة مواطنيها من تهمة العنصرية.

وأضافت الباحثة بقولها أن أغلبية المستجوبين من الأقدام السوداء قالوا بأن "التفاوت بينهم وبين المسلمين لم يمنع من ربط علاقات ولو أقل دفئا بين المواطنين الفرنسيين والرعايا الفرنسيين، يقتسمون العيش على نفس الأرض وتحت نفس الشمس الطرفان، مرده لأمر واقع فرض على الجزاء رين ولم يجدوا له سبيلا"، وعلى الأرجح أن تمتع المستوطنين بالحماية القانونية الفرنسية، وتملكهم سلطة تخول تحكم القوي في الضعيف، تبرئة مواطنيها من تهمة العنصرية والاحتقار وفي هذا الصدد، حاولت ذر الرماد في العيون ولم تستمع لشهادة الطرف الضحية، الجزائري وموقفه من العلاقة مع المستوطنين الأوروبيين، بينما تنقل الباحثة الفرنسية Muyll هذه الحقيقة بذكر شهادة

السيدة جول روي "Jule Roy" بقولها " كنت اعتقد أنه قانون طبيعي بان العرب كانوا خدما والفرنسيين سادة، وأن كل شيء بخير وان الفرنسيين ينحدرون من سلالة راقية كريمة، بينما العرب بحاجة ماسة لغيرهم"⁴².
وإذ ما وجدت بعض الشهادات عن حسن العلاقة بينهما في مصادر أخرى، فهي قليلة، كما أن البعض منها على الأرجح أجبر فيها المسلمون الجزائريون على مسايرة الأوروبيين على مضض، ريثما توفر لهم ظروف لتغير المعادلة لصالحهم نذكر شهادة الزعيم السياسي الجزائري "الحسين ايت احمد"⁴³ وأحد مفجري وقادة الثورة الجزائرية قوله وهو يصف معاملة بعض المستوطنين في دائرته "ميشلي"⁴⁴ بمنطقة القبائل " يجب الإقرار انه على المستوى المحلي، لم يكن كل موظفي الإدارة الاستعمارية أناسا شرسين، بل كان فيهم، من كان يستحق ان يكون نموذجا للزهاء " مبدئيا امتنانه لمدير المدرسة السيد "تومي" في نجاحه بالشهادة الابتدائية، واصفا إياه بانه كان في منتهى التفاني في العمل والوعي المهني"⁴⁵.

ولم تزد السياسة الاستيطانية الا الى تشبث المسلمين الجزائريين بأرضهم ورفض استئصالهم، إذ على مر سنوات الاحتلال اشتعلت المقاومات والانتفاضات الراضية له. والتي كثيرا ما تسبب تعثرها، في فرض منطق المنتصر، وارايدته مؤقتا، بحيث كتب الباحث Agéron "وحققت هزائم الثوار خاصة هزيمة 1871 انتصار المستوطنين السياسي... وفرض فرنسيو الجزائر إرادتهم فرضا"⁴⁶. لم يكن لدى الاحتلال القوة، ولا القدرة على استئصال روح الشعب الجزائري، ومبدؤه لم يكن بوسع المستوطنين الأوروبيين أيضا التنازل عن عقدة التفوق الحضاري، واحتقار الجزائري الذي يسمونه تحقيرا "الأهلي"، ولم تسفر تلك النظرة الا على نتائج عكسية للمخططات الكولونيالية، اذ سرعت من روح الثورة، واججت الإصرار لدى الجزائريين على انهاء المعاناة النفسية التي تجرعوها على مدار الحقبة الفرنسية.

وباندلاع الثورة الجزائرية المباركة أصبح ساكنة الميتروبول من الفرنسيين، أشد نقما على المستوطنين لكون سوء معاملتهم لأصحاب الأرض المسلمين، وحرصهم وأنانيهم في الحفاظ على مصالحهم على حساب الحقوق المشروعة للمسلمين أدى إلى خسارة المستوطنة وضياعها من يدي فرنسا. وساكنة المتروبول لم تكن لتتقم عنهم لسوء تصرفاتهم لو لم تحركها حملة إعلامية، وفكرية، اطلعت عن قرب على واقع العلاقة المرير بين الطرفين، وتجاوزات الاحتلال، التي أدت في النهاية إلى ثورة الشعب الجزائري، وضياع الجزائر من أيديهم للأبد.
وما انفقت فرنسا عليه في سبيل الدولة الإمبراطورية، بدا أنه أقرب للأنهيار بسبب النظرات التحيزية والنمطية لمستوطنيتها الأوروبيين في الأرض الجزائرية.

5. الهوامش:

¹ بسقوط مدينة الجزائر، تم التوقيع على معاهدة الاستسلام من قبل الداي "حسين"، آخر داي ممثل للسلطة العثمانية بالجزائر، وقد تعهدت فيه السلطات الفرنسية باحترام معتقدات الشعب الجزائري، وعدم المساس بمقدساته واملاكه، للمزيد، انظر:

édition ANEP, p122-123 Hamden, Khoja, Le miroir,

² اللجنة الافريقية: هي أول لجنة تحقيق فرنسية حكومية في الجزائر، تأسست في جويلية 1833، تحت اشراف الجنرال Bonet وب رئاسة هدف تحديد مستقبل فرنسا في الجزائر، دام عملها ثلاثة أشهر بحيث قام أعضاؤها بإجراء زيارات ميدانية، والاستماع لوجهاء الجزائر، وأصدرت قرارها المشهور بضم الجزائر لفرنسا وفقا لمرسوم 22 جويلية 1834

³ شارل هنري الكسيس دوتوكفيل Alexis De Toquville: منظر و مؤرخ وعالم اجتماع فرنسي، ورجل فكر، ولد بباريس في 29 يوليو 1805، نظر في السياسة ودعا للديموقراطية فالف فيها كتبها على غرار " في الديمقراطية الامريكية"، كان من بين رجالات السياسة والفكر الذين دعموا الثورة على الملكية الفرنسية سنة 1848، وانخرط في النظام الجمهوري الجديد للجمهورية الفرنسية الثانية، بحيث تقلد منصب وزير الخارجية، توفي بمدينة "كان" يوم 16 افريل 1859

⁴ كتب "الكسيس دو توكفيل: الف كتابه" ثلاث رسائل عن الجزائر، "مقدما فيها رؤيته في السياسة الواجب اتخاذها لإنجاح المشروع الاستعماري الفرنسي، أولى الرسائل نشرها بريدة la presse de seine et Oise 1837، كتبها في اطار حملته الانتخابية للمجالس النيابية، أما الثانية فكانت بعنوان Travail sur l'Algérie، عقب زيارته للجزائر عام 1841، وتناولت رؤيته لاحتلال الجزائر، وفلسفته في الاستيطان التام، كما كتب أيضا رسالة أخرى في نفس الموضوع عام 1847، واعتبرها الأستاذ إبراهيم صحراوي تراثا استشرقا، كتبها من خلفية نظره وفلسفته الحضارية الغربية.

⁵ الكسيس، دوتوكفيل: نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال، والاستيطان، تر إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2008، ص 16

⁶ نفسه، ص 49

⁷ نفسه، ص 49

⁸ جوزيف ارثور دوغوبينو: Josef Arthur de Gobineau، مفكر وفيلسوف، ودبلوماسي فرنسي من مواليد يوليو 1816، بافراي لعائلة فرنسية نبيلة، عرف بإتقانه اللغة الألمانية والفارسية، اشتهر بنظرية تفاوت الأعراق. وكتب مؤلفه فيها، توفي في 13 أكتوبر 1883 بتورينو

⁹ جول فيري Jules François Camille Ferry مفكر ووزير فرنسي من مواليد 5 افريل 1805 بسنت ايتيان الفرنسية، كرس حياته للمشروع الامبراطوري، ولالإصلاح السياسي والتربوي، من اشد المدافعين على توسع الإمبراطورية الفرنسية والتعليم المجاني العلماني، أسس لجنة برلمانية للنظر في مسألة الجزائر (1893-1891)، جمعت أفكاره في كتاب

.Discours et opinons

¹⁰ Paul, Robiquet, Discours et Opinions de Jules Ferry, Arnaud

Colin&CIEediteur, 189: للمزيد حول اراء فيري انظر:

¹¹ جول دو فال Jules Du val: محامي وصحفي وسياسي وجغرافي فرنسي، ولد في 30 افريل 1813 بمدينة "روديز" ثم انتقل الى "تولوز"، درس الحقوق، ومارس مهنة المحاماة، من اشد المدافعين عن الفكرة الاستيطانية للجزائر، لدرجة انه غادر فرنسا نحو الجزائر سنة 1847، واستوطن بها، وانظم لاتحاد الفلاحي لمدينة "سبيق" احد المقاطعات التي انشأها "لاموريسيار" في القطاع الوهراني واصبح إداريا، ومحاسبا وعضوا فيه، شغل رئاسة تحرير جريدة L'écho d'Oran، وكان عضوا في المجلس العام ولاية وهران، توفي

¹² Jules, Du Val, L'Algérie et les colonies Françaises, M Levasseur, Paris, Librairie Guillaumin &c, 1877, p

¹³ Bulletin officiel de l'Algérie et des colonies, T2, N 14-55, Paris, Imprimerie Impériale, Avril 1866

¹⁴ Luis De Boudi cour, Histoire de la colonisation de l'Algérie, Challamel, libraire, éditeur, Paris, 1860, p8

¹⁵ Colonisation de l'Algérie par le système du Général Bugeaud, p 15-20

¹⁶ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول 1830-1900، دار الغرب الإسلامي، ط الرابعة، 1982، بيروت، ص22.

¹⁷ للمزيد حول سياسة مصادرة الأراضي الفرنسية بالجزائر، انظر:

Arthur, Girault, Principe de colonisation et de Législation coloniale, Paris, Libraire de la société du Recueil, et d'Arts, 1904

¹⁸ Fischer Fabienne, Alsacien set Lorrains en Algérie, histoire d'une Immigration 1830-1914, ed Giandini, Nice, p24

¹⁹ حمدان بن عثمان، خوجة، المرأة، محمد العربي الزيري، ديوان المطبوعات الجامعية، ط، 2005، ص13.

²⁰ محفوظ، قداش، جزائر الجزائريين، تر: محمد المعراجي، الاكاديمية الجزائرية للمصادر التاريخية، منشورات ANEP، ص 157.

²¹ الالزاس واللورين بعد حرب السبعين: منطقتين حدوديتان بين فرنسا وبروسيا، اقرت معاهدة فرانكفورت 10 ماي 1871، منحهما للمنتصرين في الحرب، وبذلك وجد سكانها من الفرنسيين أنفسهم مجبرون على مغادرتها، واتخذت الحكومة الفرنسية إجراءات لتشجيع هجرتهم الى الجزائر، ومنحهم الأراضي المصادرة من الجزائريين عقب ثورة المقراني، بعد مصادرتها من أصحابها ونفهم الى كايان وكاليدونيا الجديدة.

²² شارل، روبير، اجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت ، باريس، الطبعة الأولى، 1982، ص 86

²³ اقر هذا القانون منح الجنسية الفرنسية للمهاجرين الأوروبيين الذين يثبتون اقامتهم ثلاث سنوات متتالية بالجزائر
²⁴ Kamel, Kateb, op cite p 30. .

²⁵ 1. شقرون "مخاربة العرب أو الاستئصال من اجل الاحتلال". المصادر " المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 13، السداسي الأول، 2006. ص 173.

²⁶ حمدان خوجة : 1845-1773 احد رجال الدولة الجزائرية، دبلوماسيها في أواخر العهد العثماني ، نشأ لأبوين من الطبقة الارستقراطية ، فوالده القاضي الحنفي بالجزائر، وامه كريمة وزير المالية، اطلع على الأوضاع الولية عن كثب، واكتشف الأفكار التنويرية الأوروبية، من خلال زيارته للمشرق العربي ، ولدول أوروبا، آنذاك ، عرف بوجهته الاجتماعية ، ونشاطه السياسي والدبلوماسي خاصة بعد سقوط مدينة الجزائر ، فكتب رسالة الى الملك الفرنسي "لويس فيليب" يوم 10 جويلية 1833 ، لتحسيسه بالتجاوزات والفظائع التي يرتكبها الجيش الفرنسي، كما دافع عن القضية الجزائرية ، امام " اللجنة الإفريقية" الثانية التي انشاءها البرلمان الفرنسي ، لتقرير مصير الجزائر. ضمن مؤلفه "المرأة" تفصيلا لمرحلة سقوط الجزائر العاصمة /وبدايات الحكم الفرنسي للجزائر.

²⁷ Isabelle Merle." de la législation de la violence en contexte colonial .le régime de l'indigénat en question". Politix, Revue des sciences sociales et politiques.v17 n°66,2004 P 148.

²⁸ منهم "جول فيري" المنظر الاستعماري الذي بنادي بالاستعمار بهدف نشر المدنية وتحضير الشعوب المتبررة .
²⁹ جريدة أسبوعية، تأسست في الجزائر العاصمة من قبل النائب الفرنسي André Paul Houb في افريل 1906، ثم تحولت الى جريدة يومية، تهم بقضايا الجزائر، وتاريخها ويوميات سكانها، استمرت في الصدور لغاية نوفمبر 1915، وتوقفت عن الصدور باندلاع الحرب العالمية الأولى .

³⁰ Marie ,Muyl ; L'histoire d'une identité. Thèse de doctorat en français d'Algérie .socio- science politiques. Université Paris 1-panthéon – Sorbonne .2007.p

³¹ الأمير خالد: بن الهاشمي حفيد الأمير عبد القادر ولد بمدينة دمشق بسوريا يوم 20 فيفري 1875، نشا بدمشق سنة 1854 وتلقى تعليمه الابتدائي بها، ثم . ونشأ خالد في دمشق انتقل الأمير خالد رفقة والده إلى الجزائر، لمزاولة دروسه بثانوية لويس الكبير LOUIS LE GRAND سنة 1885. وكان الأمير الهاشمي يأمل أن يدخل ابنه إلى الكلية العسكرية سان سير Saint Cyr بباريس بعد ان تخرج منها برتبة ضابط، تحول للكفاح السياسي بعد الحرب العالمية الأولى وقاد تيار المساواة للمطالبة بالحقوق السياسية المدنية للجزائريين، من خلال اللجنة التي أسست سنة 1908، حمل لواء الكفاح لرفض قانون التجنيد الاجباري الصادر في 03 فبراير 1912، وقاوم دعاة التجنيس والاندماج، باندلاع الحرب العالمية الأولى انظم للدفاع لجانب فرنسا، وبعد انتهاء

الحرب، قدم عريضة للرئيس الأمريكي "ولسن" للمطالبة بحق الشعب الجزائري في التحرر، أصبح عضوا في المجلس البلدي للعاصمة، وأسس جريدة "الاقدام" لسان حال حركته السياسية، وبسبب نشاطاته للدفاع عن حقوق الجزائريين، قررت السلطات الفرنسية نفيه، فرحل الى مصر، ثم غادرها سنة 1924 توفي بدمشق 09 جانفي 1936.

³² Gilbert ,Meinier L'Algérie et les Algériens sous le système colonial, Approche Historicohistoriographique, INSANIAT, 65-66, 2014, <https://journals.openedition.org/insaniyat/14758>

³³ Tommas Dodman, Un pays pour la Mourir de nostalgie en Algérie française, 1830-1880 ;URL: <https://www.cairn.info/revue-annales-2011-3-page-743-784.htm>

³⁴ أبو القاسم. سعد الله. أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. ج4. دار الغرب الإسلامي ط....1990، ص 60.

³⁵ فضيلة، بجاوي، الرواية والمجتمع الكولونيالي في الجزائر ما بين الحربين، ترجمة: عبد الحميد سرحان، المؤسسة الوطنية للكتاب، 2008، ص 166.

³⁶ فضيلة بجاوي، تصدير في المرجع نفسه، ص 3.

³⁷ فضيلة، بجاوي، المرجع نفسه ص 21.

³⁸ فرحات عباس: مناضل وسياسي، وزعيم جزائري، ولد بيججل سنة 1898، زاول تعليمه الابتدائي بها، ثم انتقل الى سكيكدة لإكمال تعليمه الثانوي، ثم انتقل الى العاصمة أين حصل على شهادة الدكتوراه في الصيدلة، سنة 1931، انخرط في العمل السياسي باكرا، فكان عضوا في جمعية المنتخبين المسلمين الجزائريين 1927 فاصبح رمزا من رموز الادمج، عرف بقدرته على التأقلم وتكييف قناعاته تدريجيا في مسار تجرته في الحركة الوطنية، فشكل جمعياته " احباب البيان والحريّة " 1944 الى غاية اقتناعه بالكفاح المسلح ضد الاحتلال الفرنسي، فانظم للثورة التحريرية في افريل 1956، واصبح اول رئيس للحكومة الجزائرية المؤقتة، وقام بجولات دعائية عبر العالم للثورة الجزائرية، وعضوا في المجلس الوطني للثورة، توفي في مارس 1985

³⁹ فرحات، عباس، الشباب الجزائري، تر: أحمد منور، منشورات وزارة الثقافة "الجزائر عاصمة الثقافة العربية"، 2007، ص 120

⁴⁰ فرحات عباس، ليل الاستعمار، ص 13.

⁴¹ Marie, Muyl ; Les Français d'Algérie, sociohistoires d'une identité, Thèse de doctorat en science politiques. Université Paris 1-panthéon Sorbonne. 2007.p 85 .

⁴² Marie .Muyl, op cite, p 96

⁴³ حسين ايت احمد، مناضل وسياسي جزائري من مفجري الثورة التحريرية، من مواليد 26 اوت 1926، بعين الحمام، بتيزي وزو، ينحدر من أسرة متدينة تنتمي للزاوية الرحمانية، حفظ في كنفها القرآن، ثم التحق بالتعليم المدني الفرنسي بقرنته، أكمل مرحلته الثانوية

بين تيزي وزو وين عكنون في الجزائر العاصمة، حتى تحصل على البكالوريا، التحق بالعمل السياسي ضمن التيار الاستقلالي، وأصبح عضوا في اللجنة المركزية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وفي المنظمة السرية ، بعد الازمة التي عصفت بحركة الانتصار للحريات الديمقراطية عين مثلا لها في القاهرة ، ونال شرف التحضير للثورة الجزائرية مع جماعة الاثنتين وعشرين ، وأصبح عضوا في الوفد الخارجي للثورة الجزائرية ، تعرضت طائرته مع زملاءه في الوفد الخارجي للاختطاف يوم 22 اكتوبر 1956، وبقي رهن السجن، ومع لك عين وزيرا في التشكيلات الثلاث للحكومة الجزائرية المؤقتة لغاية اعلان وقف اطلاق النار مارس، 1962 واصل مسيرته النضالية بعد الاستقلال ، الى جانب المعارضة .

44 دائرة ميشلي : تسمية فرنسية اطلقت على دائرة "عين الحمام" بتيزي وزو بمنطقة القبائل الجزائرية

45 Hocine, Ait Ahmed, Mémoire d'un combattant ,L'esprit d'indépendance 1942-1952 Document, SylvieHessinger,Paris,1983,p 18.

46 شارل روبر، اجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات، ط1، بيروت لبنان، 1982، ص ،79.

7. قائمة المصادر والمراجع

1. العربية

1. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول 1830-1900، دار الغرب الإسلامي، ط الرابعة، 1982، بيروت
2. أبو القاسم. سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. ج4. دار الغرب الإسلامي ط....1990.
3. حمدان بن عثمان، خوجة، المرأة، محمد العربي الزيري، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2005.
4. شارل، روبر، اجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الأولى، 1982.
5. ا شقرون: "محاربة العرب أو الاستئصال من اجل الاحتلال." المصادر"، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 13، السداسي الأول 2006 .
6. فرحات، عباس: الشباب الجزائري، ترجمة: احمد منور، منشورات وزارة الثقافة "الجزائر عاصمة الثقافة العربية"، 2007
7. فضيلة، يحيوي: الرواية والمجتمع الكولونيالي في الجزائر ما بين الحربين، ترجمة: عبد الحميد سرحان، المؤسسة الوطنية للكتاب، 2008.
8. الكسيس، دوتوكفيل، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال، والاستيطان، تر إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2008، ص 16
9. محفوظ، قداش، جزائر الجزائريين، تر محمد المعراجي، الاكاديمية الجزائرية للمصادر التاريخية، منشورات، ANEP
2. الأجنبية

10. Arthur, Girault, Principe de colonisation et de Législation coloniale, Paris, Librairie de la société du Recueil, et d'Arts, 1904

11. Bulletin officielle l'Algérie et des colonies, T2, N 14-55, Paris, Imprimerie Impériale, Avril 1866
12. Colonisation de l'Algérie par le système du Général Bugeaud, p 15-20
13. Fischer Fabienne, Alsaciens et Lorrains en Algérie, histoire d'une Immigration 1830-1914, ed Giandini, Nice.
14. Gabriel, Esquer, Le commencement d'un empire, La rose, 1929-
15. Ferdinand ocarulli, La prise d'Alger, pièce héroïque, 1830
16. Gilbert, Meinier L'Algérie et les Algériens sous le système colonial, Approche Historico historiographique, INSANIAT, 65-66, 2014, <https://journals.openedition.org/insaniyat/14758>
17. Hocine, Ait Ahmed, Mémoire d'un combattant, L'esprit d'indépendance 1942-1952 Document, Sylvie Hessinger, Paris, 1983
18. Isabelle Merle." de la législation de la violence en contexte colonial .le régime de l'indigénat en question". Politix, Revue des sciences sociales et politiques.v17 n°66, 2004 P 148.
19. Luis De Boudi cour, Histoire de la colonisation de l'Algérie, Challamel, libraire, éditeur, Paris, 1860.
20. Marie, Muyl ; L'histoire d'une identité. Thèse de doctorat en français d'Algérie .socio- science politiques. Université Paris 1-panthéon – Sorbonne .2007
21. Marie, Muyl ; Les Français d'Algérie, sociohistoires d'une identité,. Thèse de doctorat en science politiques. Université Paris 1-panthéon –Sorbonne .2007
22. Paul, Le Roy, Beaulieu, De la colonisation chez les peuples moderne, 2ed, Gullarmin er Cain Librairies, Paris ,1882
23. Paul, Robiquet, Discours et Opinions de Jules Ferry, Arnaud Colin & CIE éditeur, Jules, Du Val, L'Algérie et les colonies Françaises ,M Levasseur ,Paris, LibrairieGuillaumin &c, 1877,